مدة اعيد بها فعل الخلق اربعة اسابيع ولم يتم ذلك الاَّ بالانقطاع عن الحديث مدة الطعام وحصر الفكر كلهِ في ابقاء الطعام في الفم ومضغهِ جيدًا الى ان يصير فلويًّا ويزول طعمهُ

واقول في الختام ايها السادة ان حفظ الصحة يقوم باعادة هذا الفعل المنعكس الى الخلق وما يجاورهُ وحينئذٍ تجري التغذية مجراها الطبيعي ويزول من الجسم ما يعدّهُ للمرض والالم

ديوان حافظ

نشر حضرة الكاتب البليغ والشاعر الشهير محمد حافظ افندي ابرهيم الجزء الاول من ديوانهِ في ستة ابواب المديح وشكوى الزمان والوصف والخمريات والمراثي والمقاطيع مفتتحًا بمقدمة بليغة في الشعر يتلوها مقدمة اخرى لشارحهِ حضرة الكاتب المدقق والشاعر المجيد محمد هلال افندي ابرهيم ومذيلاً بتقاريظ نخبة من افاضل الشعراء

ولقد طالعناهُ بقدر ما وسعنا الوقت فرأينا ان حضرة ناظمهِ توخّى فيهِ المسلك الجديد الذي دلَّ عليهِ في مقدمتهِ بقولهِ " ان خير الشعر ما سبق دبيبهُ في النفس دبيب الغناء ثم سبح بها في عالم الخيال " وعلى هذه الخطة المثلى جرى اكثر شعراء هذا العصر الذين غاروا على الشعر العربي غيرة الضرائر وشقَّ عليهم ان يبقى اسير التقييد والتقليد مكبلاً بسلاسل الاحتذاء ومحصورًا في ابواب لا يتجاوزها واساليب لا يتعدّاها فأخذوا يمزّقون عنهُ تلك القيود ويدأبون على استرجاع مزيتهِ الضائعة ورونقهِ المفقود واستعادة مقامهِ الحقيقي بين الفنون الجميلة اي ان يكون حيًّا مؤثرًا ينعمل في نفس سامعهِ ما يفعلهُ التوقيع الحسن والصورة الجميلة . او ما يفعلهُ الشعر نفسهُ في اللغة الانكليزية والفرنسوية وغيرهما من اللغات الاجنبية . وقد يصعب على الذين لا يعرفون غير اللغة العربية ان يدركوا الفرق العظيم بين مقام الشعر في لغتنا ومقامهِ في احدى اللغات الاوربية ولكننا اذا استفتيناهم في مئات من القصائد العربية وكانوا من المنصفين حكموا فيها ما يحكمهُ كل ذي ذوق سليم وقالوا انها ليست من الشعر في شيء وان هي الاَّ كلام موزون . اما الشعر الانكليزي مثلاً فقلَّ ان تجد فيهِ ما يصحُّ تطبيق هذا الحكم عليهِ وهكذا الفرنسوي والالماني وغيرهما . اذًا شعرنا قاصرٌ جدًّا عن مجاراة الشعر الافرنجي على انهُ لا يصحُّ نسبة هذا القصور الى لغتنا وهي مشهورة بسعتها وغناها بل شعراؤنا انفسهم هم المطالبون بهِ والمسؤولون عنهُ . واسباب قصورهم كثيرة منها انشغافهم بالتقليد في ما ينظمونهُ فيخالفون شعور النفس في سبيل التحدّي والاقتداء حرصًا على الاتيان باحدى النكات البيانية او

المحسنات البديعية او التعابير الشعرية العربية التي لا كتها الالسنة من ايام الجاهلية . قلنا انهم يخالفون شعور النفس ولا ندري كيف يصح بعد ذلك ان يُسمَّى مثل هذا الكلام شعرًا . ومنها تكلُّف النظم او محاولتهُ حين لا تجد النفس اقل هشاشةٍ او ارتياح اليهِ فيأتونهُ وقد اعتاص عليهم لجموح الخاطر او جمود القريحة ويسمون ان الشعر شعورٌ او إلهام يهبط على نفوس الشعراء هبوط الوحي على الانبياء ولهُ اوقات خاصَّةٌ وعوامل معينة تفعل في النفس فتشعر فتقول . وعينًا يحاول الشاعر ان يقول طمعًا في حمل النفس على الشعور . وشعراؤنا لا يراعون هذه القاعدة غالبًا بل يستسلمون الى الاضطرار والإكراه فيمدحون او يرثون او يتغزلون وهم غير شاعرين بمؤثرٍ دافعٍ الى شيءٍ من ذلك . ولعلَّ هذه الحقيقة من اكبر الحزازات الغاشية صدورهم فلا يحسن بنا ان نثير دفينها ونحرك سكونها

وشاعرنا حافظ افندي عالم حق العلم بهذا القصور وقد نهج مثل كثيرين من شعراء العصر منهج الإصلاح . لكنَّ الطفرة محال وطريق الإصلاح وعث كؤود لا يسهل قطعهُ بلا تحمل المشاق والاتعاب . فقد جرى في كثير من ديوانهِ على ما ذكرهُ في المقدمة فجاء شعرهُ سابحًا بالنفس في عالم الخيال واكثر ما ترى ذلك في باب شكوى الزمان ولا سيما في ما كتبهُ الى محرر المرأة في القصيدة التي مطلعها

لحاظك والايامُ جيش احاربهْ فهذي مواضيهِ وهذي كتائبهْ

وفي القصيدة التي مستهلها

تناءيت عنكم فحلَّت عرى وضاعت عهودٌ على ما ارى

وفي باب الوصف وقد اجاد فيهِ ما شاء بقصيدة " دولة السيف ودولة المدافع " وهي

يا دولة القواضب الصقالِ وصولة الذوابل الطوالِ
كم شدت بين الاعصر الخوالي ممالكًا غزيرة المنالِ
قامت بحد الابيض الفصَّالِ وسن ذاك الاسمر العسَّالِ
راحت بها الايام والليالي وخلفتها دولة الجلالِ
مملكة المدفع ذات الخالِ قامت بحول النار والزلزالِ
فارهبت اقدة الابطالِ أرهبها مزعزع الجبالِ
ومفزع الليوث في الدحالِ وقاطع الآجال والآمالِ
وخاطف الارواح من اميالِ يثور كالبركان في النزالِ
فيتبع الاهوالَ بالاهوالِ ويرسل النار على التوالي

فيحطم الهامَ ولا يبالي ما كوكب الرجم هوى من عالِ
فرَّ كالفكر سرى بالبالِ على عنيدٍ مارد محتالِ
مسترق للسمع في ضلالِ من عالم التسبيح والاهلالِ
امضى وانكى منهُ في القتالِ اذا سرت قنبلة الوبالِ
من فمهِ الخشوّ بالنكالِ ينذرهم في ساحة المجالِ
بالبرق والرعدِ وبالآجالِ ولم يكن كذلك الخنّالِ
يحزُّ في الهام وفي الاوصالِ صامت قول ناطقَ الفعالِ
رأيتهُ كالقوم في المثالِ مالوا عن القول الى الاعمالِ

فامتلكوا ناصية المعالي

وفي قصيدة "الكاء" وهي من ابيات شعره . ولهُ شيء كثير من ذلك في باقي المراثي والمقاطيع . لكنَّ المسلك الجديد الذي خطهُ في المقدمة لم يستطع استطراقهُ في بعض مدائحهِ ومراثيهِ واكثر خمرياتهِ ومقاطيعهِ وكأنَّهُ لم يقوَ على استئصال شأفة التقليد من ذهنهِ فأتاهُ سهوًا او اضطرارًا وجاء نظمهُ فيهِ كلامًا موزونًا لا شعرًا شاعرًا . فمن المدح قولهُ من قصيدةٍ

والملكُ فوقَ سرير الملك يحرسهُ عينُ الالهِ وترعى أعينُ النُّوَبِ

ومنها

فهو ابنُ اكرم من سادوا ومن ملكوا وهو الاب المفتدى للسادة النُّجبِ

ومن قصيدة أُخرى قولهُ

اني فتحتُ لها صدرًا تليق بهِ ان لم تحلوهُ فالرحمن حلاَّهُ
لم اخشَ من احدٍ في الشعر يسبقني الاَّ فتى ما لهُ في السبقِ الاَّهُ

ومن الخمريات قولهُ

هذا الظلام أثار كامن دائي يا ساقيَّ عليَّ بالصهباء
بالكاس او بالطاس او باثنيهما او بالدنان فان فيهِ شفائي

ومنها ياصاحبي كيف النزوع عن الطلا ولقد بليتُ من الهموم بداء
والليل ارشدهُ ابوهُ لشقوتي وكذا البنون على هوى الآباء

ومن قصيدة أُخرى

اوشك الديك ان يصيح ونفسي بين همٍّ وبين غمٍّ وحدسِ

يا غلامُ المدامَ والكاس والطا ... سَ وهيِّئ لنا مكانًا كاسِ
واطلق الشمس من غياهب هذا الدَّ ... نِّ واملأ من ذلك النور كاسي
واذن الصبح ان يلوح لعيني ... من سناها فذاك وقت التحسي

ومن المراثي قولهُ

اني ليحزنني ان جاء ينشدهُ ... داعي المنون واني غير منشودِ
أمست تنافس فيك الشهب من شرفٍ ... ارضٌ تواريتَ فيها يا فتى الجودِ

ومن قصيدةٍ أخرى

عطَّلت فنَّ الشعر بعدك وانطوى ... أجلُ القريضِ وموسم الشعراءِ

ومنها

شوقتنا للترب بعدك واشتهي ... فيهِ الاقامة واحد العذراءِ

ومن مقاطيعهِ قولهُ

اخي والله قد مُلِيءَ الوطابُ ... وداخلني بصحبتكَ ارتيابُ
وجوتك مرةً وعبتُ اخرى ... فلا اجدى الرجاء ولا العتابُ
نبذت مودتي فاهنأ بعدي ... فآخر عهدنا هذا الكتاب

وقولهُ

ظبيَ الحمى بالله ما ضرَّكا ... اذا رأينا في الكرى طيفكا
وما الذي تخشاهُ لو انهم ... قالوا فلانٌ في الهوى عبدكا
قد حرَّموا الرقَّ ولكنهم ... ما حرَّموا رقَّ الهوى عندكا

فلا نظنُّ شاعرنا البليغ يقول بشعريَّة مثل هذه الابيات ولا نراهُ يدَّعي لها اقلَّ قوةٍ على ان تسبح بالنفس خطوة واحدة في عالم الخيال لانها منظومة في معانٍ تناهبتها الخواطر وتنازعتها القرائح فلم يعد لها في النفس شيءٌ من التأثير فضلاً عن انها عاطلة الجيد من حلى السهولة والانسجام والرصانة والرشاقة والمتانة وغيرها مما ازدانت بهِ عرائس هذا الديوان العامر بآيات البلاغة وبينات البيان

فالناقد البصير يرى منظومات شاعرنا البليغ مشهدًا للشعر الحديث الذي ارادهُ وتوخَّاه ومثالاً للشعر القديم الذي تنكَّبهُ ولكنهُ اتاهُ وقد لا يودُّ ان يكون اتاهُ وهو على الجملة شاهدٌ عدلٌ لحضرة الناظم بترقُّد القريحة ومضاء الخاطر. واستحقاقهِ للشكر العطرِ والثناء الوافر

القاهرة اسعد داغر